الراوي في رواية الزيني بركات لـ (جمال الغيطاني)

م.م باسم محمد عبدالله

مديرية تربية القادسية

bsmalbaj@gmail.com

تاريخ استلام البحث : ٢٠٢٦/٥/٣

تاريخ قبول البحث : ٢٠٢٦/٦/١٤

المستلخص

تعد رواية الزيني بركات للكاتب المصري جمال الغيطاني من الروايات التاريخية التي استثمر فيها القيم التاريخة للشخصيات التي استدعاها في روايته، وهي شخصيات حضرت في المدونة المصرية في حقبة المماليك، ومن هنا يبدأ (النقد السردي) الذي يجد تسارعا في الخطوات سعيا الى اللحاق بركب الرواية المعاصرة ، وما حققته هي ذاتها من تطور طرأ على بنيتها الداخلية وتقنياتها السردية فما كان من نقد السرد إلا أن يكون موازيا لها في ذلك التطور، وسأقف على أحد الروايات المعاصرة لاختيار جزئية منها ، بوصفها (أي تلك الجزئية) عينة للدراسة السردية. فكان الراوي موضوع هذه الدراسة ، إذ شكل أهمية كبيرة في البناء السردي للرواية ، كونه أحد تقنيات السرد الروائي ، التي وظفت من لدن المؤلفين؛ لتكون عنصراً فعالاً في بناء السرد، وارتأيت على وفق طبيعة الموضوع أن يكون الراوي على نوعين بعد أن مهدنا للدراسة عن ماهية الراوي في الدراسات السردية وآراء النقاد، وقد جاء المبحث الأول تحت عنوان (الرؤية السردية) ، وقصدنا من ورائها –أي الأنماط– الكيفية التي يعرض لنا بها الراوي سرده ، ويقدمه لنا، وجاء المبحث الثاني تحت عنوان (وظائف الراوي) ، أي المهام التي انيطت به.

The narrator in the novel Al-Zayni Barakat by (Gamal Al-Ghitani)

Assist Lec. Biaism Muhammad Abdullah

Al-Qadisiyah Education Directorate

bsmalbaj@gmail.com

Date received: 3/5/2026
Acceptance date: 14/6/2026

Abstract

The novel "Al-Zayni Barakat" by the Egyptian writer Gamal El-Ghitani is a historical novel that utilizes the historical values of the characters he invokes. These characters appeared in Egyptian literature during the Mamluk era. From this point, narrative criticism begins, accelerating its pace in an effort to keep up with the contemporary novel and the developments it has undergone in its internal structure and narrative techniques. Narrative criticism, therefore, has to keep pace with this development. I will focus on one of the contemporary novels to select a specific part of it.

narrator was the subject of this study, as he constituted a great importance in the narrative structure of the novel, being one of the narrative techniques employed by authors to be an effective element in constructing the narrative. I deemed it appropriate, in accordance with the nature of the subject, that the narrator should be of two types after we had laid the groundwork for the study on the nature of the narrator in narrative studies and the opinions of critics. The first section came under the title (narrative vision), and by it we meant – i.e., the patterns – the way in which the narrator presents his narrative to us and presents it to us. The second section came under the title (functions of the narrator), i.e., the tasks assigned to him.

Keywords : The Narrator, a novel by Al-Zayni Barakat, by Gamal El-Ghitani

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين النبي الأمين محمد بن عبد الله وعلى آله الأخيار المنتجبين.

إن من يلقي نظرة على الدراسات السردية المعاصرة، سيجد تسارعا في الخطوات سعيا الى اللحاق بركب الرواية المعاصرة، وما حققته هي ذاتها من تطور طرأ على بنيتها الداخلية وتقنياتها السردية فما كان من نقد السرد إلا أن يكون موازيا لها في ذلك التطور وهو شكل أهمية كبيرة في البناء السردي للرواية ، كونه أحد تقنيات السرد الروائي، التي وظفت من لدن المؤلفين؛ لتكون عنصرا فعالا في بناء السرد، وقد ارتأيت على وفق طبيعة الموضوع أن يكون تقسيم الراوي فيها على نوعين بعد أن مهدنا للدراسة عن ماهية الراوي في الدراسات السردية، فضلاً عن حديث عن آراء النقاد.

وقد جاء المبحث الأول تحت عنوان (الرؤية السردية)، وقصدنا من ورائها – اي الانماط– الكيفية التي يعرض لنا بها الراوي سرده، ويقدمه لنا.

وعنون المبحث الثاني بـ (وظائف الراوي)، أي المهام التي انيطت بذلك الراوي في السرد .

بعدها جاءت الخاتمة بأهم النتائج التي توصل اليها البحث، مشفوعة بقائمة المصادر والمراجع التي كانت لي عوناً في اتمام البحث واخراجه بالصورة التي هي عليها ، والتي هي مما لا غنى للبحث عنها.

المهاد

الراوي في الدراسات السردية

بين الماهية والتقسيم

أولاً : ماهية الراوي :

تبحث السردية في مكونات الخطاب السردي من رأو ، ومروي ، ومروي له(ابراهيم ، ١٩٩٢ ،٩): ذلك أن القص ظاهرة لغوية تقوم على علاقة توصيل بين متكلم ومتلقي والقصة بوصفها محكيا أو مرويا ، تمر بقناة الاتصال الاساس(حمداني ، ١٩٩١ ،٤٥).

- الراوي ـ القصة (أو الرواية) ــ المروى له يتضح من مخطط قناة الاتصال ان الراوي هو ابرز عناصر الاتصال ؛ ذلك أنه يتبنى عملية الحكي أو السرد الذي تعرفه سيزا قاسم ((أسلوب صياغة بنية من بنيات القص ، شأنه شأن الشخصية الزمان والمكان ، وهو أسلوب تقديم المادة القصصية))(قاسم،د.ت ،١٨٤) اذ هو الساعي عن تقديم الكلام مهما حاول أن يقوض حضوره كي يوهم القارئ بواقعته الحكاية أو حيادية النظرة أو انية الاحداث(ينظر: العجمي ، ٢٠١٤ ،٥٢)، فيأخذ على عاتقه ((سرد الحوادث ووصف الاماكن ، وتقديم الشخصيات ، ونقل كلامها ، والتعبير عن افكارها ومشاعرها واحاسيسها))(قاسم ، ٢٠١٤ ،١٥٨). واذا ما كان الرواي قد عرف بهذا المعنى ، فانه لابد من الاشارة الى مسألة مهمة وهي ان الراوي سيعيد انتاج مروي ما للمتلقي ، إعادة الانتاج هذه تتطلب ان يحل لفظه محل اللفظ الاصلي أو السابق . ومهما حاول الراوي أن يكون موضوعيا في نقل الوقائع والاحداث ، غير انه لا بد أن يخضع لرؤية معينة تعبر عن موقفه اتجاه المادة الحكائية .

وليس من الضروري ان يكون الراوي ((اسما معينا فقد يكتفي بأن يقتنع بصوت أو يستعين بضمير ما))(ابراهيم ، ١٩٩٢ ،١٢٠). ليقوم بمهمته في عرض المروي وتقديمه بين يدي القارئ فهو ((أداة وظيفية دالة))(العيد ، ١٩٨٦ ،٧).

فالراوي أذن وسيلة أواداة تقنية يستعملها الكاتب ليكتشف بها عالمه السردي ، أو ليبث من خلالها سرده الذي يرويه(يقطين ، ٢٠٠٥ ،٣٨٤).

ومن هنا وجب التفريق بين الكاتب الحقيقي المؤلف من لحم ودم ، وبين الراوي بعده اداة أو وسيلة ((فنية يستخدمها الكاتب ليكشف بها عالم قصه ، أو لبث القصة التي يروي)) ، اذ يسير خلفها ، ليتحدث ويرى من خلالها . فالكاتب عندما (يسرد) لا يتكلم بصوته ، ولكنه يعرض رأويا تخيليا يأخذ على عاتقه عملية السرد ،

وقد اطلق النقاد عليها (الأنا الثانية للكاتب) ، ويتوجه الى مستمع تخييلي ايضا يقابله في هذا العالم . وقد يكون الراوي هذا غير ظاهر في النص السردي ، وقد يكون شخصية من شخصياته (القاضي وآخرون ، ٢٠١٠، ٢٧٨).

- ثانيا : تقسيم النقاد للرأوي في الدراسات السردية : على الرغم من ((أن الراوي عنصر قصصي متخيل شأنه في ذلك شأن سائر العناصر المكونة للأثر السردي ، فان دوره اهم من ادوارها جميعا؛ لانه صانعها الوهمي وعله وجودها))(القاضي وآخرون ، ٢٠١٠ ١٩٥).

وقد قسم النقاد الراوي داخل العمل السردي، إذ ميّز سمير المرزوقي وجميل شاكر في كتابهما مدخل الى نظرية القصة ضربين من العلاقات – علاقة الرواي بما يروي–(المرزوقي ، ١٩٨٦، ١٠٢):

١. الرواي الغريب عن الحكاية : اي ذلك الراوي الذي له مسيرة ذاتية مستقلة عن الحكاية التي يروي .
٢. الراوي المتضمن في الحكاية : اي الراوي الحاضر بوصفه شخصية في الحكاية اي الراوي الحاضر بوصفه شخصية في الحكاية التي يرويها. وتحت هذا الضرب ميّز جيرار جينيت صنفين من العلاقات(ينظر: المرزوقي ، ١٩٨٦، ١٠٢)

أ. وضع أول يكون الراوي بطل سرده .

ب. وضع ثان يلعب الراوي دورا ثانويا كملاحظ أو مشاهد

وقد قارب الناقد عبد الله ابراهيم هذا التقسيم ، إذ قسم الراوي بحسب موقعه من المروي على(ابراهيم ، ٢٠٠٨، ٨/١)

١. الراوي المفارق لمرويه : وهو الذي يروي متونا لا تنسب اليه
٢. الراوي المتماهي بمروية : وهو عكس الأول .

ومن هنا فإن موقع الراوي في النص السردي يختلف لاختلاف مستويات السرد ، واختلاف علاقات الراوي بالحكاية التي يرويها ، واختلاف التبئير(زيتوني ، ٢٠٠٣، ٩٥)

المبحث الأول

الرؤية السردية

الرؤية السردية هي ((الطريقة التي اعتبر بها الراوي الاحداث عند تقديمها))(الحمداني ،٢٠٠٥، ٥١). وقد ((عرف هذا المكون تسميات عديدة منذ ان تم توظيفه ... تركز في معظمها ، رغم بعض الفروقات البسيطة ، على الراوي الذي من خلاله تتجدد رؤيته الى العالم الذي يرويه بأشخاصه ، واحداثه وعلى الكيفيه التي من خلالها ايضا – في علاقته بالمروي له – تبلغ احداث القصة الى المتلقي أو يراها))(يقطين ، ٢٠٠٥ ،٢٨٤)، ولذلك كان لها اهمية بالغة في الخطاب السردي ؛ لان الوقائع التي يتألف منها العالم التخييلي لا تقدم في ذاتها ، بل من منظور معين وانطلاقا من وجهة نظر معينة(تودرف ، ١٩٩٠ ،٥٠).

فالرؤية أو وجهة النظر هي موقع يتخذه الراوي كي يعرض من خلال ذلك الموقع سرده .فالرؤية السردية تكمن في ثنائية الراوي بالحدث الذي يرويه من جهة ما يترتب على ذلك في ذهن المتلقي من فهم اثر ذلك التموقع من جعة اخرى.

ويرى جان بويون انه يكمن تقسيم الرؤى التي من خلالها يمكن ضبط حضور الراوي أو عدم حضوره على ثلاثة اقسام(جينيت ، د.ت، ٢٠١):

١. الرؤية من الخلف : واكثر ما تتجلى في السرد والتقليدية، إذ تكون معرفة السارد اكبر وادق من معرفة الشخصيات ، اي انه يكون عالما بكل شيء ، وهو لا يخبر عن الكيفية التي حصل بها على هذه المعرفة
٢. الرؤية مع : وغالبا ما يتجلى هذا النوع من الرؤى في السرود الحديثة، وفيها تكون معرفة الراوي مسأوية لمعرفة الشخصيات، إذ لا يقدم اي تفسيرات للأحداث .
٣. الرؤية من الخارج: واكثر ما تتجلى هذه الرؤية في السرود التجريبية، وفيها تكون معرفة الراوي اقل من معرفة الشخصيات.

وبعد بويون جاء تودوروف ليميز هذه العلائق عن طريق الصيغ الرياضية(ينظر: يقطين ، ٢٠٠٥ ،٢٩٣):

١. الراوي > الشخصية ، ويقابلها الرؤية من الخلف عند يويون
٢. الراوي = الشخصية ، ويقابلها الرؤية مع عند يويون
٣. الراوي <الشخصية ، ويقابلها الرؤية من الخارج عند يويون .

كان هذا التقديم (التنظير) أمراً لا بد منه كي يكون المتلقي على بينة من طبيعة ما ستقوم به من تشريح لجسد الرواية على وفق ما قدمناه .

وقبل ان تبدأ بتحليل الانماط السردية وكيفية عرض الراوي لنا سرده في رواية الزيني بركات ، سنقف قليلا عند مدخل الرواية : ((رجب ٩٢٢هـ اغسطس الى سبتمبر ١٥١٧م . مقتطف (أ) من مشاهدات الرحالة البندقي فياسكونتيجانتي، الذي زار القاهرة اكثر من مرة في القرن السادس عشر الميلادي اثناء طوافه بالعالم .تسجل المشاهدات احوال القاهرة خلال شهر اغسطس ١٥١٧ ميلادية ، الموافق رجب ٩٢٢هـ))(الغيطاني ، ١٩٩٤ ،٤) ان هذه المدخل ربما يذكرنا – من حيث المقصد ، وان اختلفت الكيفية – برواية دون كيخوته ، إذ يذكر الراوي في بداية الرواية انها مخطوطة حامد بن جيلي. وكذلك بذكرنا برواية غرازيل ليوسف زيدان، اذ يتحدث الراوي في بداية الرواية عن وجود مخطوطات مدفونة ضمن صندوق خشبي كتبت في القرن الخامس الميلادي وعثر عليها بحالة جيدة، وهنا قد يرد سؤال عن العلاقة بين رواية الزيني بركات ، وما ذكرنا – وحسبها تداعيات إثارتها الرواية لقراءات سابقة – من روايات؟ ان جواب ذلك السؤال يكمن في طبيعة ما تحأول ان تفرضه تلك المقدمات في فضاء الرواية هي مشاهدات لأحداث وقعت في زمان وزمان معينين، هو إيهام اراد به ايقاع المتلقي في شرك اللعبة السردية ، وخلط الامور عليه ، إذ انه لا يدري ان ما تقرأ من نسج الخيال ام احداث تاريخية وقعت بالفعل . وهذا الامر هو ما تشارك به هذه الرواية مع رواية دون كيخوته ، وعزازيل . والرواية بعد تعالج قضية القمع الذي يقوم به كبير البصاصين (المحتسب) فخلال مدة اضمحلال دولة المماليك مع صعود الدولة العثمانية، اذ كان الشعب يعاني من سطوة السلطان، وصراع الامراء ، واحتكار التجار، ونفوذ البصاصين، يتم تعين الزيني بركات ليتولى أمور الحسبة في مدينة القاهرة خلفا لـ (علي بن ابي الجود) . لكن يبدو ان هذا الخلف ليس أفضل حالا من سابقه في الاستمرار بعمليات القمع والابتزاز .

تبدأ الرواية بتقديم الراوي (الرحالة البندقي فيكاسكونتيجانتي) مجموعة من المشاهد الوصفية لأحوال مصر اثناء مدة وجوده فيها. وهو (الراوي) إذ يتحدث عن احوال بيوتات مصر واحوال سكانها يحأول ان يفرض رؤيته على مجمل خيوط السرد ، آملا استحصال ثقة المتلقي في مدى المعلومات التي يملكها عن الناس والبلاد وطبيعة العباد. وهو بعد ان يستيقن ذلك الاستحصال يمرر ما يريد تمريره متموقعا خلف الرؤية الخلفية ، اذ هي من تخدم اهدافه بدءا ، قبل ان يحصل هناك تغيير تفرضه طبيعة السرد أولا ، والظروف ثانيا (اي الاحداث) .

يقول الراوي : ((تضطرب احوال الديار المصرية هذه الايام ، وجه القاهرة غريب عني ، ليس ما عرفته في رحلاتي السابقة ، احاديث الناس تغيرت ، اعرف لغة البلاد ولهجاتها ، ارى وجه المدينة مريضا يوشك على البكاء ، امرأة مذعورة تخشى اغتصابها آخر الليل ، حتى السماء نحيلة زرقاء ، صفاؤها به كدر ، مغطاة بضباب قادم من بلاد بعيدة ، اذكر قرى الهند الصغيرة اذ يدركها الوباء ، يثقل هواؤها بالرطوبة ، الليلة تنتظر البيوت امراً قد يأتي غداً أو بعد غد .... أطل برأسي قليلا ، اخاف انفتاق الظلام عن وجوه درك قساة الليل ، اذ يجدونني افرنجيا يدفعون بي الى الموت بلا محاكمة ، لا استجواب ، لا سؤال ، من انا ؟ من اين جئت ؟ لن تتاح الفرصة لأخيرهم ، لأقنعهم انني اعرف الوالي الامير (كرتباي) معرفة شخصية))(الغيطاني،١٩٩٤، ٧) ان الراوي في هذا النص شاهد على كل شيء لا يخفى تفصيل ، اذ يتجه الى تقديم الشخصيات واحوال البلاد ، من دون ان ندرك علاقته بها ، سوى انه رحالة ، لكنه يقدم لنا ذلك الكشف كما لو انه مطلق المعرفة . فهو يعرف لغة البلاد ولهجاتها ، ويتنبأ بوقوع امر ما ، دون ان يبين لنا كيفية استنتاجه لذلك الحث المتوقع . وهو بعد يعلم بموعد قدوم الدرك (القساة) ولا يخفى ما لهذا الوصف من اثر اراد الراوي من خلاله اعلامنا بأنه لم يكتف بوصف ملامح البلاد والعباد من خارجها ، بل ويغوص في اعماق نفوسهم ، عرافا بخباياهم ومكنون طبائعهم . ان الراوي العليم في هذا النص ، هو رأو متضمن في الحكاية وليس غريبا عنها ، اذ هو احد شخصياتها . غير ان وضعه داخل السرد ليس بوصفه بطلا ، اذ البطولة في الرواية هي من نصيب الزيني بركات ، بل كان دور ذلك الراوي ثانويا ، بوصفه ملاحظا أو مشاهدا .

وفي نص آخر : ((أول النهار ... وفيه تغرق البيوت في نعاس طري ، تتأخر الشمس في الوصول الى حواري الحينية ، الباطنية ، الجمالية ، والعطوف ، بينما ترى واضحة من فوق اسوار وابراج قلعة الجبل ، جماعة المماليك التي تخترق شارع حدرة البقرة لم يخرجوا من القلعة ، خرجوا من بيت الامير قاني بأي الرماح

امير الخيل السلطانية ، عبروا الخليج ، نزلوا على مهل الى باب اللوق ... البقاءون الذين قابلوهم قرب باب اللوق ، أول من يستيقظ في المدينة ، يحملون الماء من النيل الى البيوت يجهلون مقصد الفرسان ، تنثر حوافر خيولهم دوامات ترابية صغيرة ، تسرع خطوات الجمال مثقلة بقرب المياه البنية اللون ، يخفت همس السائقين ؛ يبقى في اذهانهم انطباع خفيف كأثر ضربة المجداف في مياه ترعة هادئة ... علي بن اب الجود ، لا يصحو الا بعد عودته كل ليلة من القلعة ، يجيء نوابه يراجع معهم ما تم من اعمال خلال اليوم المنقضي، قرب الفجر يصرفهم ، يخلو الى نفسه مقدار ساعة ، ثم يمضي الى احدى زوجاته الاربع ، أو جواريه السبع والستين ، منذ شهر اكتمل عددهن سبعا وستين ، بعد مجيء واحدة حبشة ، واخرى رومية ....))(الغيطاني،١٩٩٤ ،١٩-٢٠) هذا النص وان كان فيه من الطول الشيء الكثير، إلا انه لابد من ايراده حتى يتبين سيطرة الراوي العليم (الرؤية من الخلف)على السرد بشكل عام .

ان الراوي في هذا النص لا ينشغل بأن يشرح لنا كيف اكتسب لنا هذه المعرفة ، وهو يجعل وجوده ملموسا ((فكأنه ينتقل في الزمان والمكان من دون معاناة ، ويرفع اسقف المنازل ، فيرى ما بداخلها وما في خارجها ، ويشق قلوب الشخصيات ، ويغوص فيها ويتعرف على اخفى الدوافع واعمق الخلجات، وتستوي في ذلك عنده جميع الشخصيات، فكانه كلها من اكبرها شأن الى اقلها شأنا ، كتاب منشور امامه ، ويقرأ فيه كل ما يدور في نفوسها))(قاسم،د.ت،١٣٢). فعين الراوي مثلها مثل كاميرا تلتقط الصور من مكان عال مشرف على الحدث وكل ما يرتبط به ، بل وتغوص بعيدا في نفوس الشخصيات. واليك دليل ذلك قوله :

١. ((بينما ترى واضحة من فوق اسوار وابراج قلعة الجبل، جماعة المماليك .... نزلوا على مهل الى باب اللوق))(الغيطاني، ١٩٩٤: ١٢). فالراوي يتابع جماعة المماليك منذ خروجهم، وعبورهم الخليج، ونزولهم الى باب اللوق، ومقابلة السائقين لهم .... ولا يخبرنا ذلك الراوي كيفية استحصاله على هذه المعلومات، هل عن طريق المراقبة، وتتبع اثرهم، أو غير ذلك من امور تحصيل المعلومة.
٢. ((السقاءون الذين قابلوهم قرب باب اللوق ، أول من يستيقظ في المدينة ، يحملون الماء من النيل الى البيوت ... يخفت همس السائقين ، يبقى في اذهانهم انطباع خفيف ...)) (الغيطاني، ١٩٩٤: ١٢) . وهنا نجد الراوي العليم كأحد الشخوص الروائية ، اذ هو يعلم متى خفت الهمس ، وهذا لا يكون الا يكون الواصف لذلك الوصف حاضرا . والراوي لم يكن حاضرا مما يجعلنا نجهل كيفية معرفته لذلك .

كذلك نجده يعلم باسرار النفوس (يبقى في اذهانهم) ومن اين له ان يستحصل علم ذلك . هذا ما لم يبينه لنا الراوي في سرده للاحداث

٣. ((علي بن ابي الجود لا يصحوا الا بعد مضي ثلاث ساعات من النهار ، دائما ينام متاخرا بعد عودته كل .... واخرى رومية)) . هذا التتبع لسير سلوك المحتسب علي بن ابي الجود . وعلم الراوي بعدد زوجاته ، وجواريه ، وساعات مناقشته الأمور الحسية . كل هذه الامور تبين لنا مما لا شك فيه ، هو كون الرؤية السردية التي تحكم سرد الرواية هي سيطرة الراوي العليم . وكون وجهة النظرهذه (الرؤية من الخلف) هي المسيطرة على مجرى السرد .

وهنا قد يعترض معترض على حاكمية ذلك الراوي ، وعلمه الذي يفوق الشخصيات ، اذ ان– حسب الاعتراض المفترض– ذلك العلم راجع الى كون الراوي رحالة ، وقد زار المدينة لأكثر من مرة فهو خبير باحوال الناس ، فضلا عن بعض المعلومات التي سمعها من الناس ، مما اعطى كل ذلك صفة العلم لذلك الراوي .وجواب ذلك الاشكال اننا لا نتعامل مع شخصية تأريخية تروي لنا مشاهداتها وانطباعاتها ، بل اننا نتعامل مع تقنية سردية (الراوي) ، وهذا الراوي لابد ان يكون خاضعا لقوانين وضعتنا امام ثلاثة رواة كما هو تقسيم بويون، ومن ثم تلك الاشكالات لو صحت انما تصح على ماهو واقعي ، تأريخي ، لا على ما هو تخييلي ، ادبي .

وفي نص آخر يقول الراوي : ((اجمع العجائز . وكتبة الدوأوين .والقضاة ، والمطلعون على حقيقة ما جرى من خلال الازمان الغابرة ان ما شهد به القاهرة ليلة الثلاثاء سابع ذي القعدة لم يحدث من قبل قط . لم يعرف مثيله في بلد آخر ...))(الغيطاني،١٩٩٤، ١٠٤). إن الراوي العليم هنا لا أراه الا وهو يرتدي جلباب الاصوليين في فرضه الاحكام القطعية التي لا تقبل النقاش أو الشك . (اجمع العجائز ، ...) ، وهو كلام يذكرنا باجماع الفقهاء أو علماء الاصول على امر ما ، بحيث يصير ذلك الاجماع حجة على الغير لا يجوز الطعن بها ،بل يصير كل من خالفها شاذا من الشذاذ ، وان حسن رأيه . وقد اراد الراوي العليم من ذلك الاجماع ان يمرر صحة معتقده ،أوصحة ما يرويه مسندا في ذلك الى شهادة الشهود ، واجماع الوفود .

وقد تتداخل الرؤية من الخلف مع الرؤية مع كما في النص الاتي : ((سعيد الجهيني ... اصك عن دنياك يحار من اين يبدأ ؟ مات الشيخ البلقيني عالم الحديث في الازهر .. مات عن ثلاثة وتسعين عاما . لا

يبدي الشيخ جزعا ، انما يهتز رأسه هزا خفيفا لينا ... يرحمه ويرحمنا اجمعين . زكريا والزيني على اتفاق . اعرف هذا . يبدي سعيد دهشته . الزيني جاءني امس بعد سماعي الخبر ، فكرت ان ارسل اليه لأعرف حقيقة الامر ، لكنه دخل عليَّ وشرح الامر ... مولانا كل شيء يحيرني .ابتسامة تقطر صفاء . كل شيء ؟؟))(الغيطاني،١٩٩٤، ١٢٣) ، إن هذا النص يضمر نوعين من الرواة :

الأول : الراوي العليم (الرؤية من الخلف) حيث يعلم الراوي اكثر من شخوصه . وذلك يظهر في المعلومات التي سردها الراوي (مات عن ثلاثة ... لا يبدي الشيخ جزعاً ، انما يهتز هزاً خفيفاً)) . هذا الوصف والملاحظة الدقيقة لكل حركات وسكنات الشخصيات ومعرفة ما يختلج في بواطنها ، انما هي إثر تموقع الراوي في هذه الزأوية (الرؤية من الخلف)

- الثاني : الراوي المتسأوي مع شخوصه (الرؤية مع) ويظهر ذلك في الحوار الذي دار بين الراوي الثاني في النص (الراوي المتماهي مع مرويه ، اي ذلك الذي يروي متوناً تنسب اليه)(ابراهيم ، ٢٠٠٨، ٨/١). وهو هنا (سعيد) إذ ابدى دهشته من اتفاق (زكريا والزيني) وهو يعد عالم بذلك ، فمعرفته مسأوية لمعرفة الشخصيات ، وانما مبعث الدهشة السر الكامن من وراء ذلك الاتفاق . وسعيد هنا رأو ثانٍ داخل النص ، اذ هو من يسرد ليس غريباً عن حكايته ، بل متضمناً فيها بوصفه احد شخوصها .

إن الراوي في الرواية موضوع الدراسة (الزيني بركات) هو على حد تعبير نورمان فريد مان – بحسب تصنيفه – (الأنا كشاهد) ، ووجهة النظر ((هاته وجهة نظرالروايات بضمير المتكلم حيث يختلف السارد عن الشخصية ، وفي هذه الحالة ، يرى القارئ ، الذي يدين برؤيته للأحداث الى الراوي))(**جينيت** ،١٩٨٩، ١٤). إن الراوي إذا ما كان عربيا عن حكايته (المفارق لمرويه) ، أو متضمنا في الحكاية بوصفه شاهدا ، فان علمه سيكون اكبر مما تعلمه الشخصية ، اي رأوياً عليماً ؛ لأنه سيكون مهيمناً على الحدث والشخصيات ، وتكون رؤيته فوقية ، اي بمعنى تسلطه على بنية الحدث ككل .

ونرى ان هذه الرؤية هي المسيطرة على الرواية وإن تخللها في بعض مواردها – وقد مثلنا لذلك– الرؤية (مع) . هذا ما يجعل الرواية اقرب الى الكلاسيكية منها الى الحداثة وتيار الرواية الجديدة . وربما يكون (الراوي) مقاربا الى هذا التصنيف وسيطرته على العمل ككل ، في عمل سردي آخر للغيطاني هو ما جاء في كتاب

التجليات ، الذي هو ايضا رحلة ، لكنها هذه المرة ليس الى ارض مصر ، بل الى عالم ارضي في معالمه وتضاريسه وأجواءه ، غير ان الراوي يخلع عليها صنعة كون اسطوري وخرافي متخييلين(القمري ، ١٨،١٩٩١). فما يشترك في رواية الزيني بركات وكتاب التجليات هو الراوي الشاهد ، والذي هو كلي المعرفة .

المبحث الثاني

وظائف الراوي

إنَّ بداية التحليل الداخلي المحايث للاعمال الحكائية بصورة جدية مع الشكلانيين، بيد أنه توسع مع الجهود التي قام بها البنائيون والمعنيون بعلم الدلالة في الوقت الحاضر(الحمداني ، ١٩٩١ ،٢٠). وقد كانت قراءة النصوص السردية من لدن النقاد والمنظرين كشفت عن وجود عدد من الوظائف التي يضطلع بها الراوي ، والتي تظهر في النص وتختفي باختفائه، وهي نفسها ظاهراً وعلى اختفائه إن كان مستترا(تنفو،د.ت ، ٣٣-٣٤).

-ان الحديث عن الوظائف التي تسند الى الراوي ، انما هي تعود الى بروب وكتابه مورفولوجيا القصة . و ((يرتكز منهج (بروب) الوظائفي ، على الملامح البنيوية الثابتة التي تتكرر اشكالها في الخرافات على الرغم من تنوع الملامح الخاصة وتغّير الشخصيات وأوصافها وكذلك عناصر التحفيز التي تسبق الافعال . فجدد بروب سبعة انماط من الشخصيات هي : المعتدي ، الواهب ، المساعد ، الاميرة ، المرسل ، البطل ، والبطل الزائف))(ستار ، ٢٠٠٣ ،١٤٥). وقد (توزعت الوظائف في منهج بروب ، على احدى وثلاثين وظيفة في مجمل الخرافات المئة التي درسها ، اذ ظهر ان تسلسل الوظائف كان متشابها بصورة واضحة في المنون ، ولكن هذا لا يعني استغراق الخرافة لكل الوظائف انما ثمة استثناء في ذلك ، فقد تفقد الخرافة بعضا من الوظائف))(الحمداني ، ١٩٩١ ،١٤٥).ان بروب من خلال الحكايات أو الخرافات المئة ، استطاع ان يصل الى بنية القانون الذي يحكم تلك الحكايات من خلال ما أسماه (الوظيفة) . فقد وجد ان الحكايات وإن تعددت ، بيد أن هناك مجموعة من الثوابت تحكم تلك البنية . هذا ما يمكن ان نطلق عليه بـ (الثابت والمتغير) ، إذ المتحركات أو الحوافز التي تدفع الشخصيات واحدة ، والذي بتغيير هو الشخوص ومسمياتهم . ويمكن اجمال تلك الوظائف التي يقوم بها الراوي في رواية الزيني بركات فيما يأتي * :

- الوظيفة السردية : إن ((أول اسباب تواجد الراوي سرده للحكاية))(المرزوقي ، ١٩٨٦، ١٠٤) ، ويرى جيرار جينيت أنه من الغريب ان يسند الى اي سارد دور آخر غير السرد بمعناه الحصري(جينيت،د.ت، ٢٦٤). فالوظيفة الاساس هي أن يقوم الراوي بإنشاء السرد ، واتقان البناء الذي سيقوم من خلاله عرض الحدث ، وما يرتبط به من تقنيات مكملة لذلك البناء . ومن امثلة تلك الوظيفة قول الراوي : ((من قبل سعى اليه ، يعد الفجر الى الشيخ ابي السعود ، ها هو البيت ، البوابة مفتوحة ، لم يزيد الزيني في بنائه ، من حقه كناظر للحسبة الانتقال الى بيت اكبر ، لكنه يبقى هنا ، امام البيت والاكمام الصفراء ، امر جديد ابتدعه الزيني بالنسبة لنوابه ورجاله في الطرقات التابعين له ، لباس واحد ، في الناحية الاخرى يقف خلف كثيرون ، تمد بهم الصف حتى يخرج من الباب الآخر للبيت المطل على الطريق الخلفي ، تساءل النوبي : هل تغير مقابلة الزيني بنفسه ؟اكد سعيد ، نعم ...)) (الغيطاني،١٩٩٤، ١١٩). فالراوي يعمل هنا في هذا النص ، وفي مجمل العمل السردي (الرواية على انشاء وتشييد الهيكل السردي ، من خلال ربطه للأحداث والوقائع ، بخيط رابط ، وتأثيث ذلك البناء بالتقنيات السردية من زمان ، ومكان وشخصيات ، فضلا عن الحدث وبذا تكون هذه الوظيفة هي جوهر عمل الراوي ، وكبرى وظائفه ، واهمها والتي تحضر في كل نص .

إن من جملة الوظائف التي تسند الى الراوي وظيفة الوصف ، إذ يقوم الراوي في هذه الوظيفة بتقييم مشاهدة وصفية من دون ان يعلن عن حضوره ، بل انه يظل متخفيا ، وكأن المتلقي يراقب مشهداً لا وجود للراوي ولا حضور فيه ، وحقيقة الامر أن الراوي لا يتنحى في مشاهد الوصف ، ولكنه يحتجب الى حد ما ، ولا يعنى بإظهار موقعه من الاحداث ابداً ، فيتيح للمروي أن يتشكل في صفاء بعيدا عن تأملات الراوي وآرائه(الخفاجي ، د.ت، ١٨٨)، ومنه قول الراوي : ((رأى سعيدا اطفالا صغارا في قريته البعيدة ،رؤسهم ضخمة ، رقابهم نحيلة كالعيدان ، يمضغون تراب الطريق ، عيونهم أوطان للذباب ...))(الغيطاني،١٩٩٤، ١٢٠). وكذلك في قوله : ((... وعلى جانبي الطريق وقف رجال اشداء مدركون يرتدون ملابس زرقاء بياقات صفراء))(الغيطاني،١٩٩٤، ١٣٩). إن هذه الوظيفة مهمتها اعطاء المتلقي تصوراً كاملاً عن الاحداث أو الاشياء المراد وضعها ، مما يجعلها شبه مجسمة لديه حتى تقترب الى ذهنيته، فضلا عن كونها تقنية زمنية ، تجعل من السرد يتوقف عندها.

١. الوظيفة الايديولوجية : وهذه الوظيفة تتعلق بالخطاب الاخلاقي أو المذهبي الذي يحمله الراوي في عباراته ، وفي طريقة سرده للأحداث(الكردي ، ١٩٩٦، ٦٥). وهذه الوظيفة تمكننا من معرفة المغزى الذي يقف وراء تأليف النص (الراوية) . اذ بكل (نص) مغزى أراد مرسله ان يضمنه بعدا ايديولوجيا، أو بمعنى آخر أدلجه ذلك النص كي يستطيع من خلاله تمرير ما اراد تمريره . وهذه الوظيفة تقع على عاتق الراوي . وتكمن الوظيفة الايدولوجية في رواية الزيني بركات ، والتي أراد الراوي ايصالها لنا هو ذلك القمع والتعسف الذي كانت تقوم به السطان المصرية خلال فترة الستينات من القرن الماضي ، إذ تقنع ذلك مؤلف النص بشخصية الزيني بركات ، وعبر الراوي استطاع ان يموه على السلطة على انها ليست المقصودة . فاستطاع من خلال هذه الراوية بيان حال القهر الذي يتعرض له الشعب المصري ، مستفيدا من تقنية الراوي الذي من خلاله تم ايصال تلك الرسالة .

٢. وظيفة الاستشهاد : وأطلق عليها جيرار جينيت تسمية (وظيفة البنية أو الشهادة) وذلك عندما ((يشير السارد الى المصدر الذي يتبقى منه خبره))(الغيطاني،١٩٩٤،٢٦٥). من ذلك ما جاء في قول الراوي : ((يا أهل مصر يقول رسول الله (ص) ، لا يستحي العالم إذا سئل عمالا يعلم أن يقول لا العم))(الغيطاني،١٩٩٤، ١١٤). إن هذه الوظيفة الراوي من كشف مصادر معلوماته ، وذلك بارجاع كلامه الى مصدر تاريخي موثوق . وهنا كان الراوي يرجع الى حديث الرسول (ص) مستشهدا به اثناء خطبته في صلاة الجمعة .

- ان وظائف بروب اسهمت في رصد الوحدات الدالة في العمل السردي ، انطلاقا من تفكيك تلك الوحدات وارجاعها الى مصادرها . أو ملاحظة تكرر تلك الوحدات والمغزى الذي يقف وراءها(فاكيت ، ٢٠٠٢ ،٧٥). و ((لا تظهر اي من هذه الوظائف ... منفصلة عن الوظائف الاخرى في النص . وليس بينها ما هو ضروري سوى الوظيفة الأولى))(زيتوني ، ٢٠٠٣ ،٩٧) ، فليس من الضروري ان توجد تلك الوظائف مجتمعة ، إذ قد يستغرق وظيفة واحدة الحدث السردي كله(ستار ، ٢٠٠٣،٢٤٨). إذ إن وجود تلك الوظائف مرهون بما يرغب الكاتب في ابرازه أو التشديد عليه(زيتوني ، ٢٠٠٣ ،٩٧).

الخاتمة

يمكن ايجاز أهم النتائج التي توصل اليها الباحث في مجموعة من النقاط :

١. كان للدراسات البنيوية دور مهم في الكشف عن البنيات الدالة في الاعمال الادبية من خلال ما اجترحته من تقنيات تسهم في ذلك الكشف وقد كان عمل المدرسة الشكلانية واخص (بروب) وما قام به من عمل في كشف الوظائف القارة في النص السردي ، الأثر الاهم من حيث اكمال مسيرة البنيويين في الكشف والتحليل للأعمال الادبية .

٢. تعد رواية الزيني بركات من الاعمال السردية المهمة . وترجع تلك الاهمية الى الوظيفة الايدولوجية التي اشرنا اليها ، وما اراده المؤلف من خلال تقنية الراوي ايصاله الى المتلقي . وكذلك الى طبيعة اللغة والأسلوب ، والتقنيات السردية التي وظفت بشكل محكم ، لا سيما الحبكة ، مما جعل الاحداث تسير بوتيرة تصاعدية قبل ان تصل الى مرحلة الحل .

٣. كان الراوي العليم هو المهيمن على السرد ، وان تخلل الرؤية (مع) بعض الموارد من الرواية .اسند الى الراوي مجموعة من الوظائف ، والتي اسهمت في اضاءة الدور الرئيس الذي هو من تمام عمل الراوي (وظيفة السرد) فضلا عن بعض الوظائف الاخرى التي تأتي حسب الحاجة اليها ، أو ما تفرضه طبيعة العمل

المصادر والمراجع

– الزيني بركات ، جمال الغيطاني، دار الشروق ، ط٢ ، ١٩٩٤م .

- البنية السردية في شعر فدوى طوفان ، اطروحة تقدم بها . فاضل ابراهيم محمد الحمداني ، جامعة الموصل ،كلية التربية ، ٢٠٠٥م .
- بنية السرد في القصص الصوفي ، المكونات ، والوظائف ، والتقنيات ، د. ناهضة ستار ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠٣م .
- بنية الشكل الروائي ، الفضاء ، الزمن ، الشخصية ، حسن بحرأوي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٠م .
- بنية النص السردي ، حميد الحمداني ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩١م .
- تحليل الخطاب الروائي ، سعيد يقطين ، المركز الثقافي العربي ، ط٤ ، ٢٠٠٥م .

- تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي ، د. يمنى العيد ، دار الفارابي ، بيروت ، ط٣ ، ٢٠١٠م .
- خطاب الحكاية ، بحث في المنهج، جيرار جينيت، ترجمة : محمد معتصم وآخرون .
- الراوي ، الموقع والشكل ، بحث في السرد الروائي ، د. يمنى العيد ، مؤسسة الابحاث العربية ، ط١ ١٩٨٦م .
- الراوي والنص القصصي ، عبد الرحيم الكردي ، دار النشر للجماعات ، ط٢ ، ١٩٩٦م .
- الرواية ، مدخل الى المناهج والتقنيات المعاصرة ، برنار فاليت، ترجمة : عبد الحميد ، دار الحكمة ، ٢٠٠٢م.
- السردية العربية ، بحث في البنية السردية للموروث الحكائي، د. عبد الله ابراهيم ، المركز الثقافي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٢م .
- الشعرية ،تودوروف، ترجمة : شكري المبخوت ، ورجاء بن سلامة ، دار توبقال ، المغرب ، ط٢ ، ١٩٩٠م .
- شعرية النص الروائي ، بشير القمري ، شركة البيادر ، الرباط ، ط١ ، ١٩٩١م .
- ضفائر شهرزاد (الوظائف في مائة ليلة وليلة) ، د. محمد تنفو ، دار رؤية ، مصر ، ط١ .
- مدخل الى نظرية القصة تحليلا وتطبيقا، د. سمير المرزوقي ، جميل شاكر ،دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٨٦م .
- المصطلح السردي في النقد الادبي العربي الحديث ، احمد رحيم كريم الخفاجي ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة بابل .
- معجم السرديات ، محمد القاضي وآخرون ، الرابطة الدولية للناشرين المستقلين ، ط١ ، ٢٠١٠م .
- معجم مصطلحات نقد الرواية ، د. لطيف زيتوني ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط١ ، ٢٠٠٣ م .
- مورفولوجيا القصة ،فلادمير بروب ، ترجمة : عبد الكريم حسن ، و د. سميرة عمو ، منشورات شراع ، دمشق ، ط١ ، ١٩٩٦م .
- موسوعة السرد العربي ،د. عبد الله ابراهيم ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ٢٠٠٨م .
- نظرية السرد من وجهة النظر الى التبئير، جيرار جينيت وآخرون ، ترجمة : ناجي مصطفى ، دار الحوار ، المغرب ،ط١ ، ١٩٨٩م .
- الواقع والتخييل ، د. مرسل فالح العجمي ، الكويت ، ٢٠١٤م .